تحذير المسلمين
من مائة باب من
أبواب الحرام

المسمّى

تبيين المحارم

للإمام العلامة

سنان الدين يوسف بن عبد الله الأماسي الحنفي

تحقيق ودراسة الأستاذ

الشريف أبي الحسن عبد الله بن عبد العزيز بن أمين الشبراوي الوراق

منشورات
عبد الرحمن
دار الرسالة العالمية

الرسالة

محفوظة
جميع الحقوق

منشورات
عبد الرحمن
دار الرسالة - القاهرة

الرسالة

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الرسالة – القاهرة – مصر . ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملًا أو مجزءًا أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على إسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيًّا .

* * * * * * * * * * * * * * * * * *

Exclusive Rights By
Dar Al-resala Egypt- Cairo

No Part Of This Publication may be Traslated, distributed in any from or by any means , or stored in data base or retrieval system, without the prior written permission of the puplisher.

* * * * * * * * * * * * * * * * * *

رقم الإيداع
٢٠١٠/٢٢١١٩
الترقيم الدولي
977 – 6180 – 21 - 3
الطبعة الأولى
٢٠١١ - ١٤٣٢

دار الرسالة - القاهرة
٢ شارع أحمد حامد أبو الحسايب (الصناعة سابقًا)
متفرع من عباس العقاد – ناصية مستشفى التوفيقية
تليفاكس : ٠٢٢٢٦٠٥٦٢٥
محمول : ٠١٢٣١٢٠٦٤٣
البريد الإلكتروني : Daralresala@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله - اللَّهُمَّ صلِّ عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد :

فإن الله ﷻ قد اختص هذه الأمة الإسلامية بخصوصياتٍ كثيرة ؛ منها : تبليغ دينه والدعوة إليه ، وجعل هذه الخصيصة هي أساس السعادة والاستقرار والهناء ، وتركها يؤدي إلى كوارث وفتن .

ولم تتوقف الدعوة إلى الله تعالى خلال أي فترة من فترات التاريخ ، وقد اتخذت أشكالًا عديدة كما هو معروف .

وقد قامت في تركيا خلافة إسلامية على يد العثمانيين بعد أفول شمسها في بغداد ومصر ، وكان عثمان خان الأول هو مؤسسها ، وكان عبد المجيد بن عبد العزيز هو آخر سلطان وآخر خليفة ، إلى أن ألغى أتاتورك الخلافة سنة (١٣٤٣هـ = ١٩٢٤م) وكما هو معلوم فإن أتاتورك كان علمانيًا من الغُلَاة .

والمقصود أن الخلافة العثمانية عملت على نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في جميع ربوع العالم وخاصةً في أوربا .

وكان لعلماء الدولة العثمانية دور مهم في نشر الإسلام بمؤلفاتهم الرائعة الدقيقة الرصينة ، وامتاز هؤلاء العلماء بالموسوعية وقوة المادة العلمية والتحقيق الفائق ، ونذكر من هؤلاء العلماء : علي دَدَه البوسنوي ، عصام الدين أحمد بن مصلح المعروف بطاش كبرى زاده ، وحاجي خليفة ، وغيرهم من علماء الروم ، وللمزيد انظر كتاب «العقد المنظوم» ، و«الشقائق النعمانية» ، ومن هؤلاء العلماء المحققين المدققين الإمام العلامة سنان الدين يوسف بن عبد الله الأماسي الرومي الحنفي الأشعري الواعظ المتوفى بمكة سنة ١٠٠٠هـ .

ونحن إذ نقدم لكتابه «تبيين المحارم» ، وهو كتاب فريد جامع شامل غزير المادة محكم

النسج والصنعة ، وقد ارتأينا أن نقسم المقدمة إلى **بابين** :

الباب الأول : دراسة الكتاب وفيه **فصول** :

- الفصل الأول : اسم الكتاب وفيه مبحثان :

١ - المبحث الأول : من ذكره من العلماء .

٢ - المبحث الثاني : سبب تسميته بهذا الاسم .

- الفصل الثاني : أهمية الكتاب .

- الفصل الثالث : منهج المؤلف في كتابه .

- الفصل الرابع : مصادره .

الباب الثاني : ترجمة المؤلف ، وفيه **فصلان** :

- الفصل الأول : عصر المؤلف ، وفيه ثلاثة مباحث :

١- المبحث الأول : الحالة السياسية .

٢- المبحث الثاني : الحالة الاقتصادية والاجتماعية .

٣- المبحث الثالث : الحالة العلمية والثقافية .

ثم ختمتُ هذا المبحث بنبذة عن الفقه الحنفي وأسباب انتشاره في تركيا .

- الفصل الثاني : التعريف بالمؤلف ، وفيه مبحثان :

١- المبحث الأول : اسمه - نسبه - نسبته - كنيته - لقبه - مولده - نشأته - شيوخه - تلاميذه - مؤلفاته - رحلاته - الوظائف التي شغلها - وفاته .

٢- المبحث الثاني : من عُرف من العلماء بالأماسي غير المؤلف .

والله أسأل أن يتقبل منا هذا العمل وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، آمين .

أبو الحسن عبد الله بن عبد العزيز الشبراوي الورّاق

كلية الدعوة الإسلامية

جامعة الأزهر - القاهرة

الباب الأول

دراسة الكتاب

الفصل الأول

اسم الكتاب

الكتاب الذي بين أيدينا هو «تبيين المحارم»، والتبيين: هو الكشف والتوضيح، والمحارم: جمع محرم، والمحارم: ما حرَّم الله تعالى [1]، وكما هو واضح من عنوان الكتاب فإن معناه تبيين ما حرَّمه الله تعالى وشرحه وتوضيحه للناس.

من ذَكَرَهُ من العلماء:

كتاب «تبيين المحارم» للإمام الأماسي الحنفي، صحيح النسبة إليه؛ فقد ذكره كل من ترجم للإمام الأماسي:

١ - ذكره العلَّامة «حاجي خليفة» في «كشف الظنون» [2] فقال: تبيين المحارم للشيخ سنان الدين يوسف الأماسي الواعظ الحنفي نزيل مكة، المتوفى بها في حدود سنة ألف، وهو مختصر أوله: الحمد لله الذي أنزل علينا كتابًا أحكمت آياته ...إلخ، رتبه على ثمانية وتسعين بابًا على ترتيب ما وقع في القرآن من الآيات التي تدل على حرمة شيء في فتوى الفقهاء، وفرغ من تأليفه في رابع رجب سنة (٩٨٠هـ) ثمانين وتسعمائة.

٢ - ذكره العلَّامة إسماعيل باشا البغدادي في «هدية العارفين» [3] في ترجمة الإمام الأماسي فقال: له تبيين المحارم في مُجَلَّدٍ كبير.

٣ - ذكره عمر رضا كحَّالة صاحب «معجم المؤلفين» [4].

وهو مذكور أيضًا في فهرس مخطوطات الظاهرية، وفي فهرست الخديوية (٧٣/٢) وفي إيضاح

---

(١) القاموس المحيط (٣٣/٤) الحرم.

(٢) كشف الظنون (٣٤٢/١).

(٣) هدية العارفين للبغدادي (٥٦٥/٢).

(٤) معجم المؤلفين (١٦٨/٤).

المكنون (٤٢٩/٢) وفي فهرست الأزهرية وفي غيرها من المراجع .

٤- نص ابن عابدين عليه في «حاشية رد المحتار على الدر المختار» فقال : « ... العارف بالله تعالى الشيخ سنان في كتاب تبيين المحارم ...» وأكثر من النقل عنه .

٥- نص الطحطاوي في «حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح» فقال : « ... العارف بالله سنان أفندي (رحمه الله تعالى) في تبيين المحارم ...» .

والخلاصة أن الكتاب صحيح النسبة للإمام الأماسي يوسف بن عبد الله الرومي الحنفي المتوفى سنة ١٠٠٠هـ .

سبب تسميته بهذا الاسم :

سمى الإمام الأماسي كتابه هذا بـ «**تبيين المحارم**» أخذًا من حديث النبي ﷺ : «**إن الحلال بيِّن والحرام بيِّن** ... الحديث» ، وقد قال الأماسي في مقدمة الكتاب : «وبيان المناهي والمحارم وإن وقع مُفصَّلًا في الكتب من التفاسير والأحاديث والفقه ، لكنه عسير الضبط ، لوقوعه في مواضع متفرقة وكتب شتى ، ولم يقع من أحد بيان المحرمات التي وقعت في القرآن العظيم في كتابٍ واحدٍ منفرد ومستقل به ، من غير أن يقع فيه بحث آخر ليسهل حفظه وكتابته ، ولما رأينا ما وقع في الناس من الكسل في طلب ما يجب عليهم الاحتراز عنه من المناهي لغلبة حرص الدنيا عليهم ، واشتغالهم في جمع حطامها ، وعدم تمييزهم بين الحلال والحرام من الجهل واتباع الهوى ، ولا يقدر أكثر الناس تتبع أقوال العلماء كلها في هذا الشأن ، أردنا أن نجمع ما وقع في القرآن المبين من المحرمات في كتاب واحد منفرد ... إلخ»[1] .

وهكذا أوضح لنا الإمام الأماسي أسباب تأليفه لهذا الكتاب .

---

(١) ص (٣٢) في هذا الكتاب .

الفصل الثاني

أهمية الكتاب

لهذا الكتاب أهمية كبيرة تتمثل فيما يلي :

١ - يعتبر الكتاب أول كتاب جمع المحرمات في القرآن وبيَّنها وفصَّلها .

٢ - حوى الكتاب الكثير من أحاديث النبي ﷺ .

٣ - ضم الكتاب كثيرًا من أقوال الفقهاء ونقولات من كتب تعتبر الآن مفقودة ومعظمها في الفقه الحنفي .

٤ - انفرد المؤلف بأشياء لم يُسبق إليها ، نبهنا عليها أثناء تعليقنا على الكتاب .

الفصل الثالث

منهج المؤلف في كتابه

كان للإمام الأماسي منهج في تأليف هذا الكتاب تمثل فيما يلي :

١ - قسَّم كتابه إلى ثمانية وتسعين فصلًا ، وهو في ذلك يقول : ورتبته على أبواب ، على ترتيب ما وقع في القرآن من الآيات التي تدلُّ على حرمة شيء في فتوى الفقهاء .

٢ - أتى بالآيات القرآنية ثم الأحاديث النبوية ، وهذا مطرد في كل باب من أبواب الكتاب ، ثم يأتي بشرح للآية مِنْ كُتُبِ التفسير المختلفَة ، وبخاصة تفسير أبي الليث السمرقندي ، وتفسير البيضاوي وابن عَادل الحنبلي المسمى «اللباب في علوم الكتاب»... وغيرها .

وكانت معظم أحاديث الكتاب منقولة نصًّا من كتاب «الترغيب والترهيب» للإمام المنذري ، بل إنه ينقل التعليقات التي يوردها المنذري عن الخطابي وغيره .

٣ - تأثر الأماسي - كغيره من مؤلفي عصره - كثيرًا بكتاب «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد الغزالي الشافعي المتوفى سنة ٥٠٥هـ، وكان في نقله من الإحياء نصًّا تارةً ، وبتصرف تارة أخرى .

٤ - المؤلف حنفي المذهب ، لذلك كان في إيراده لمذاهب العلماء في مسألة ما من المسائل الفقهية حنفيًّا ، إذ ينقل من مختصر القدوري والخلاصة ، ودرر الحكام ، وفتح القدير في شرح الهداية لابن الهمام ... وغيرها ، كما ينقل من المُحلَّى لابن حزم والمجموع للنووي ... إلخ . وقد حفظ لنا الكتاب نقولًا كثيرة عن علماء المذهب الحنفي وجمع الكثير من أقوالهم .

٥ - المؤلف أشعريٌّ في اعتقاده لذلك تراه في تفسير آيات الاعتقاد يؤول ويصرف اللفظ عن ظاهره كما هو حال الأشاعِرَة ، وانظر كلامه في الباب الخامس على سبيل المثال .

وهو يقول في الباب التاسع والعشرين : واعلم أن مذهب السلف في المتشابهات أن يؤمن بظاهرها ، وأن يسكت عن تفسيرها وتأويلها ، ويَكِل باطنها إلى الله تعالى فإنه لا سبيل إلى درك حقيقتها بالجد والاجتهاد فالأولى أن لا يتجاوز هذا الحد فإن الخطب فيها جليل والإقدام عليها مزلة اضطربت عليها أقدام الراسخين في العلم ، وهذا - لعمر الله تعالى - هو المنهج الأقوم والمذهب الأحوط والأسلم ، غير أن بعدهم اتسع الخرق على الراقع إذ كثر بعدهم الفرق الضالة من

المبتدعة والملاحدة، فتعلقوا بظواهر المتشابهات، ففسروها بما لا يليق به - سبحانه - فكذبوا على الله وافتروا وصاروا ضالين ومضلين، فلما رأى الخلف هذه المصيبة العظيمة في الإسلام اضطروا إلى تأويل المتشابهات، بما يقتضيه الشرع الشريف ... إلخ.

قلت: وهذا هو حال الأشاعرة في كتبهم يعتذرون عن مذهبهم ويجدون التبريرات لذلك، ومعلوم أن الإمام أبا الحسن الأشعري رحمه الله رجع عن هذا المذهب إلى مذهب السلف الصالح في كتابه القيم «الإبانة عن أصول الديانة».

٦ - اهتم المؤلف بالرقائق في كتابه هذا، فهو ينقل من أبي الليث السمرقندي في كتابه «تنبيه الغافلين»، وكما قلنا ينقل من الإحياء ... إلخ. وينقل أيضًا من قوت القلوب لأبي طالب المكي.

٧ - تأثر المؤلف بالظروف التي عاش فيها، ومن ذلك، حديثه حديثًا مستفيضًا عن الشيعة وفرقهم وأفعالهم الخبيثة تجاه أهل السنة وخاصةً فرقة القزلباشية، ومعلوم أن الشيعة كانوا أعداء للدولة العثمانية ولكل خلافة سُنِّية، وكان لهم مع العثمانيين حروب طاحنة انتهت كلها بهزيمة الشيعة، وبخاصة الصفويين الذين كانوا يسكنون إيران، يقول الأماسي في الباب (الثالث والأربعين): «وأما هؤلاء الشيعة - قبحهم الله تعالى - فهم أشدُّ على المسلمين من الكُفَّار، فإنهم إذا رأوا جماعة من المسلمين يصلُّون الصلوات الخمس والجمعة في الجماعة يمنعونه، وإن علموا أن واحدًا من الناس على مذهب من المذاهب الأربعة يؤذونه، بل يقتلونه وينهبون ماله ... إلخ».

وقد توسَّع الأماسي في الكلام على الفرق الأخرى، وأحال على كتاب الملل والنِّحَل للشهرستاني في الباب (السابع والخمسين).

٨ - كان يختم كل باب بقوله: «العصمة لله تعالى» وقد التزم ذلك في جميع أبواب الكتاب، وأحيانًا كان يختم بها الفصول.

٩ - قسَّم الإمام الأماسي الباب الأخير في كتابه إلى فصول، وجعل هذا الباب في المأمورات، وذكر المأمورات على طريق الاختصار.

١٠ - كانت لغته سهلة بسيطة ليس فيها حشو أو ملل، وكان أسلوبه سلسًا مفهومًا.

الفصل الرابع

مصادره

تنوعت وتعددت وكثرت مصادر الإمام الأماسي في كتابه «تبيين المحارم» وقد تمثلت هذه المصادر فيما يلي :

أولًا : القرآن الكريم

حيث استدل الأماسي بالقرآن الكريم كثيرًا على كلامه ، أحيانًا يورد الآية كاملة وأحيانًا يورد موطن الشاهد منها .

ثانيًا : كتب التفسير

حيث استعان الإمام الأماسي على فهم نصوص القرآن الكريم بتفاسير متنوعة منها : «أنوار التنزيل» للقاضي البيضاوي وهو من كتب التفسير بالرأي المشهورة المتداولة ، وكذلك تفسير ابن عادل الحنبلي المسمى «اللباب في علوم الكتاب» وهو كتاب رائع نفيس ، طبع حديثًا في عشرين مجلد متوسط ، ومنها «الجامع لأحكام القرآن» المعروف بـ «تفسير القرطبي» وهو من أكبر كتب التفسير وأوفاها وأعظمها وهو يفصل أحكام القرآن الفقهية ، وهو مطبوع مشهور متداول . ومنها : «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لابن عطية الأندلسي وهو مطبوع أيضًا ، كما اعتمد على تفسير الفخر الرازي المسمى «مفاتيح الغيب» .

ثالثًا : كتب الحديث

نقل الإمام الأماسي معظم أحاديث الكتاب التي استدل بها من كتاب «الترغيب والترهيب» للإمام المنذري الشافعي ، ويحيل على ما أحال عليه المنذري من كتب الحديث كالصحيحين والسنن والمستدرك والمسند ... إلخ .

ولا يهتم الأماسي بتصحيح الحديث أو تضعيفه ، ومعلوم أن الترغيب والترهيب فيه الصحيح والضعيف والموضوع ، كذلك نقل من مشكاة المصابيح للتبريزي ، وكذلك نقل من الإحياء للغزالي دون تخريج الحافظ العراقي ، ونقل بعض الأحاديث أيضًا من تنبيه الغافلين للسمرقندي . كما نقل بعض الأحاديث من الشفا للقاضي عِياض .

رابعًا : كتب الفقه

نقل الأماسي عن كتب الفقه الحنفي بكثرة لأنه مذهبه ، فقد نقل من المبسوط للسرخسي ، وشرح القدوري ، ودرر الأحكام ، وشرح ابن الهمام ، والروضة ، وقاضيخان ، والتتارخانية ، والبزازية ، وفتاوى أهل سمرقند ... إلخ .

وهو في نقله أمين يعزو ما ينقله إلى مصدره ، وقد تصرَّف - قليلًا - في نقله ، ولم يقتصر الأماسي على النقل فقط ، بل كان له اختيار ورأي وترجيح ، وكذلك نقل الأماسي عن كتب الفقه الأخرى ؛ كالأم للشافعي والمحلى لابن حزم والمجموع للنووي وفتاوى العز بن عبد السلام ، وغير ذلك .

خامسًا : كتب شرح الأحاديث

اعتمد الأماسي في شرحه للأحاديث على كتب كثيرة منها : شرح صحيح مسلم للنووي ، شرح المصابيح للتوربشتي ، وشرح المشكاة لمظهر الدين ، وشرح المشكاة للطيبي ... إلخ ، وكانت نقوله من هذه الكتب مختصرة ليس فيها تطويل .

سادسًا : كتب متنوعة

وهي التي لم يكثر ذكرها في كتابه ، ومنها : (المدخل إلى الشرع الشريف) لابن الحاج المغربي ، و(شرح زين العرب على المصابيح) ، و(الملل والنحل) للشهرستاني ، و(رحمة الأمة في اختلاف الأئمة) للعثماني ، و(تفسير الماتريدي) و(إحياء الحج) من تأليف الأماسي نفسه ... وغير ذلك .

والحاصل أن الأماسي قطف من كل بستان زهرة ، فجاء كتابه كالروضة الغناء حاويًا لكل فنون العلم والمعرفة .

الباب الثاني

ترجمة المؤلف

المصادر التي ترجمت للإمام الأماسي قليلة تُعدُّ على أصابع اليد الواحدة ومرجع ذلك لثلاثة أمور:

أولها: قلة مؤلفات الأماسي وعدم انتشارها واشتهارها بين العلماء.

وثانيها: أن المؤلف توفي سنة ١٠٠٠هـ، وهذه السنة قلَّما تجد من ترجم لعالم مات فيها.

وثالثها: لم يكن المؤلف مشهورًا بين العلماء كشهرة غيره، ولعل سبب ذلك شدته في الحق وقوته وجرأته وكثرة انتقاده للعلماء في زمانه، وهذا جعله بعيدًا عن المراكز العليا في الدولة العثمانية، ولم يكن المؤلف بدعًا في ذلك.

وحرصًا مني على إعطاء القارئ والباحث فكرة كاملة عن حياة هذا الإمام فقد قسَّمت هذا الباب إلى فصلين.

الفصل الأول

عصر المؤلف

وقد عاش الإمام الأماسي في القرن الحادي عشر الهجري، السادس عشر الميلادي؛ فقد توفي سنة ١٠٠٠هـ، ١٥٩٢م، وقد اتسم هذا القرن بسمات خاصة وميزات عن أي قرن آخر.

وقد قسمت الكلام عن عصر المؤلف إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية

عاش المؤلف كما سبق أن بيَّنا في القرن الحادي عشر الهجري، وفي هذا القرن كانت الدولة العثمانية في أوج عظمتها وازدهارها، فقد بسطت نفوذها شرقًا وغربًا، واتسع ملكها حتى بلغ فارس شرقًا والمغرب غربًا، وطرقوا أسوار فيينَّا، وكان الجيش العثماني جيشًا قويًّا منظَّمًا.

وكانت أوربا كلها تخشى قُوَّة العثمانيين؛ فقد كانت الدول الإسلامية وقتها أكثر وأقوى من الدول الصليبية في العالم كله.

وقد أحدثت حركة الكشوف الجغرافية في هذا العصر على يد الأسبان والبرتغاليين في العالم تغييرًا جذريًّا في تاريخ الصراع بين المسلمين ومحاربيهم من النصارى واليهود والروافض وغيرهم.

إلا أن الدولة العثمانية حَمَتْ البحر المتوسط من هجمات البرتغاليين والأسبان، وأصبح البحر المتوسط بحرًا إسلاميًّا خالصًا بكل جزره «كريت - قبرص - رودس ... إلخ».

وقد فتح العثمانيون في هذا العصر العديد من الفتوحات؛ سنذكرها في آخر المبحث، ولنذكر الآن أهم سلاطين العثمانيين الذين عاصرهم الإمام الأماسي [1]:

١ - السلطان سليمان خان الأول القانوني بن سليم الأول من سنة (٩٢٦هـ = ١٥٢٠م) إلى سنة (٩٧٤هـ = ١٥٦٦م).

٢ - السلطان سليم الثاني بن سليمان، من سنة (٩٧٤هـ = ١٥٦٦م) إلى سنة (٩٨٢هـ = ١٥٧٤م).

٣ - السلطان مراد الثالث بن سليم الثاني من سنة (٩٨٢هـ = ١٥٧٤م) إلى سنة (١٠٠٣هـ =

---

(١) حيث لم يتسن معرفة تاريخ مولد الإمام الأماسي، فسنبدأ من سنة (٩٥٠هـ) اهـ

١٥٩٥م) . وفي عهده توفي الإمام الأماسي سنة (١٠٠٠هـ = ١٥٩٢م) .

أهم الأحداث السياسية والفتوحات خلال تلك الفترة :

في سنة (١٥٢٦م) انتصر العثمانيون على الصرب والمجريين في معركة موهاكس .

وفي سنة (١٥٢٩م) حاصر العثمانيون «فيينا» عاصمة النمسا .

وفي سنة (١٥٣٧م) هاجم الجيش العثماني القوات الصليبية في جنوب إيطاليا .

وفي سنة (١٥٧٤م) فتح العثمانيون تونس .

وفي سنة (١٥٧٧م) انتصر العثمانيون على الروافض في إيران .

وفي سنة (١٥٨٠م) عقد البرتغاليون هدنة مع العثمانيين .

هذه كانت أهم الأحداث خلال تلك الفترة ذكرناها على سبيل الاختصار .

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية والاقتصادية

كان المجتمع الإسلامي في ظل الدولة العثمانية مجتمعًا طبقيًّا انقسم إلى طبقات عدة ؛ منها طبقة العلماء والقضاة ، وطبقة قادة الجيوش والوزراء وكبار التجار ، وطبقة الصُنَّاع والحرفيين وهم الطبقة السفلى في المجتمع ، ولم يختلف المجتمع العثماني عن المجتمع المملوكي كثيرًا ؛ خاصة في مصر والشام .

وبجانب المسلمين الذين كانوا أغلبية في المجتمع العثماني ، عاش النصارى واليهود ، وكان لهم زيٌّ خاص بهم ، وكان لليهود معابدهم الخاصة ، وكانت لهم تجارتهم الخاصة بهم أيضًا وبخاصة تجارة الحرير والتوابل ، وقد بلغ اليهود مبلغًا عظيمًا في فترات من الدولة العثمانية وبخاصة اليهود الأسبان ، وقد أسلم بعضهم وسُمُّوا بـ«الدونمة» ومعناها : المسلمون الذين كانوا يهودًا ، والذين كان منهم مصطفى كمال أتاتورك الذي ألغى الخلافة سنة (١٣٤٣هـ = ١٩٢٤م) .

وقد شجع العثمانيون التجارة والصناعة ، وازدهرت حركة التجارة في ظل الدولة العثمانية وأنشئت موانئ كثيرة كان منها «أزمير - الإسكندرونة - ...إلخ» .

ونتيجة للفتوحات الكثيرة للعثمانيين في أوربا وآسيا وإفريقيا تدفقت على خزانة الدولة العثمانية الأموال والخيرات الكثيرة خاصة من مصر والشام والعراق .

وقد كان إهمال العثمانيين الجانب الاقتصادي أحد أسباب انهيارها مع الأسباب الأخرى .

المبحث الثالث : الحالة العلمية والثقافية

شَجَّعَ العثمانيون العلم والعلماء ، وأنشئوا الكثير من المدارس والمساجد ودور العلم ، وأنفقوا على طلابها وذللوا كل الصعاب للعلماء .

ولما فتح العثمانيون مصر سنة (٩٢٣هـ = ١٥١٧م) استولى سليم الأول المُلقَّب بـ «ياووز» - أي القاطع - على معظم المكتبات والكتب التي كانت تغصُّ بها مساجد ومدارس الفسطاط والقاهرة ، بل مصر كلها ، وهذا هو سر كثرة مكتبات تركيا وكثرة مخطوطاتها ، إلى الحد الذي جعل ابن إياس الحنفي (٩٣٠هـ) يقول في «بدائع الزهور» : وأخذ ما لا فرح به آباؤه وأجداده .

وقد ساد التصوف في تلك الفترة وشجعه العثمانيون وأيدوه ، وشاعت الحواشي وكثرت في مؤلفات علماء تلك الفترة .

وكان العصر العثماني عصر انحطاط للغة العربية وآدابها ، ذلك لأن العثمانيين شجعوا الآداب الأخرى من فارسية وتركية ، وبالرغم من ذلك ازدهر الخط العربي وزاد جمالًا على يد الخطاطين الأتراك ، وقد تعلم الأتراك الخط العربي من الخطاطين العراقيين وخاصة البغداديين .

ومن أبرز علماء تلك الفترة : «الإمام ابن حجر الهيتمي ، الخطيب الشربيني ، ابن طولون الصالحي الشامي ، الشعراني ، ابن غانم ، ابن نور الدين ، البرهان الشامي ، علي دده البوسنوي ، الرملي ، الغزي ، ابن عَرَّاق وغيرهم من العلماء ، وللمزيد فليرجع إلى الكواكب السائرة للغزي والنور السافر للعيدروسي ، والبدر الطالع ومعجم المؤلفين ... إلخ » .

هذ كانت لمحة عامة عن هذا العصر بجميع جوانبه - والله أعلم .

نبذة عن الفقه الحنفي وأسباب انتشاره في تركيا :

نشأ الفقه الحنفي على يد مؤسسه الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠هـ/١٥٠هـ) وانتشر في العراق وبلاد ما وراء النهر ومصر .

وقد أسهم علماء المذهب الحنفي بمؤلفاتهم في نشر المذهب في البلاد الإسلامية شرقًا وغربًا ، ومنهم : الصاحبان [1] وزفر ، أبو الليث ، الطحاوي ، العيني ، ابن نُجيم ، المرغيناني ، السرخسي ، منلاخسرو ، وإبراهيم الحلبي صاحب غنية المتملي ... إلخ .

---

(١) هما محمد وأبو يوسف .

وأما عن أسباب انتشاره في تركيا فنذكر منها :

١ - قربها من العراق فقد كان المذهب الحنفي منتشرًا في الموصل وديار بكر .

٢ - كثرة المؤلفات في الفقه الحنفي باللغة الفارسية ، مما جعلها سهلة على أهل تركيا الذين كانوا يتكلمون الفارسية في تلك الفترة ، ولم تكن التركية المعروفة الآن شائعة ، بل إن التركية المعروفة الآن مليئة بالألفاظ الفارسية .

٣ - سهولة المذهب الحنفي وتيسيره في كثير من الأحكام ، وغير ذلك من الأسباب .

الفصل الثاني

التعريف بالمؤلف

الإمام الأماسي هو يوسف بن عبد الله الأماسي الرومي الحنفي المتوفى سنة (١٠٠٠هـ = ١٥٩٢م) وترجمته لا تتجاوز بضعة أسطر في كتب التراجم.

ولأجل ذلك قسَّمت هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: تفصيل الكلام على ترجمته

اسمه: يوسف بن عبد الله [١].

نَسَبه: هو تركي الأصل من بلدة تسمى أماسية.

نسبته: يُنسب إلى بلده فيقال: «الأماسي»، و(أماسية) بلدة كبيرة لها سور وقلعة وبساتين ونهر كبير ونواعير تسقى بها، مشهورة بالحسن وكثرة المياه والكروم والبساتين، بينها وبين (سينوب) ستة أيام، فيها معدن الفضة [٢].

قلتُ: وهي قريبة من (توقات) وهي شرق أنقرة - بكسر القاف - عاصمة تركيا الآن، ويُنسب إلى «أماسية» كثير من العلماء - كما سيأتي.

ويُنسب إلى مذهبه فيقال: الحنفي، نسبة للمذهب الفقهي المشهور.

وينسب إلى أصله فيقال: الرومي، نسبة إلى بلاد الروم وهي تركيا الآن، لأن الروم البيزنطيين كانوا يسكنونها قبل فتح السلطان محمد الفاتح للقسطنطينية سنة ٨٥٧هـ، وظلت تُعرف ببلاد الروم مدة كبيرة، بل إن العثمانيين كانوا يكتبونها في كتبهم وخرائطهم «روم إيلي» أي: بلاد الروم.

ولكن الأتراك العثمانيين ليسوا رومًا في الأصل، بل هم من آسيا وبلاد ما وراء النهر اهـ.

كنيته: لم تُعرف للمؤلف كنية، ولم يذكر من ترجموا له كنية.

---

(١) معجم المؤلفين (٤/١٦٨).

(٢) أرمينية وبلاد الروم (ص١٨٩) محمود شيت خطاب. وانظر: خريطة الدولة العثمانية في عهد بايزيد خان، في كتاب: تاريخ الدولة العلية ص(١٤٢).

لقبه : لُقِّب بـ «سنان الدين» وهذه عادة الترك فيمن سمي بيوسف ، فكل من سُمِّي بيوسف من الأتراك يلقَّب بـ «سنان الدين» .

قال الإمام الإسحاقي في أخبار الأُول في أثناء كلامه على موقعة الريدانية بين الجراكسة والعثمانيين : وأظهر طومان باي شجاعة قوية عُرف بها وشهد له المصاف وهو يغوص في العسكر ويكر ويفر ، وقُتل من وزراء السلطان سليم ، سنان باشا ، فأسف عليه ، وقال : أيّ فائدة في مصر بلا يوسف ، ووجه النكتة أن يوسف يُلقب بـ «سنان» في عُرفهم [١] .

مولده : لم تذكر المصادر التي ترجمت للأماسي عام مولده .

نشأته : نشأ ببلده «أماسية» وتتلمذ على علمائها ورحل إلى القسطنطينية وإسلامبول فتفقه على يد العلماء الموجودين بها آنذاك .

شيوخه : لم تبين المراجع شيوخ المؤلف تحديدًا ، ولعله تتلمذ على يد علماء عصره كابن حجر الهيتمي وغيره ، خاصة أنه جاور بالبيت الحرام ، كما ذكر في كتابه هذا .

تلاميذه : وتلاميذ الأماسي كثيرون ، ولم تذكرهم لنا المراجع والمصادر ، إلا أننا نستطيع أن نحدد أن من ذهب إلى مكة من العلماء قد تتلمذ له خاصة وأنه كان واعظ المسجد الحرام وكان مدرسًا به .

مؤلفاته : ومؤلفات الإمام الأماسي قليلة وهي :

١ - إحياء الحَجّ : وهو في مناسك الحج والعمرة ، وقد تأثَّر في عنوانه بالغزالي في إحياء علوم الدين ، وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون [٢] وإسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين ، والكتاب لم يُطبع .

٢ - تبيين المحارم : هو كتابنا هذا ، وقد سبق الكلام عليه والكتابُ لم يُطبع قبل ذلك ، والمخطوطة سيأتي الحديث عنها .

٣ - رسالة في الحج عن الغير : وهي باللغة التركية ولم تطبع .

٤ - قرة العيون : وهو كتاب في مناسك الحج والعمرة ، لم يطبع .

---

(١) أخبار الأول للإسحاقي (ص١٤٣) ط١ الحلبي/الميمنية سنة ١٣١٠هـ.

(٢) كشف الظنون (٤/١٨٣٢) .

٥ - مناسك الأماسي : باللغة التركية . قال حاجي خليفة : أوله : الحمد لله الذي جعل البيت الحرام قيامًا للناس ... إلخ ، ورتبه على عشرين بابًا ، وأتمه بها - أي بمكة - في شهر رمضان سنة (٩٩١هـ) إحدى وتسعين وتسعمائة [١] لم يطبع .

٦ - المجالس السنانية في الوعظ والإرشاد [٢] : الكتاب واضح من عنوانه أنه في الرقائق ، ولم يطبع .

رحلاته : رحل الأماسي إلى توقات ، والقسطنطينية ، وأنقرة ، وإسلامبول ، وزار مصر ، وحج بمكة وسمع من علمائها وجاور بها مدة طويلة .

الوظائف التي شغلها : شغل الإمام الأماسي منصب شيخ الحرم بمكة ، حيث كان إمامًا للمسجد الحرام ومدرسًا وواعظًا فيه .

وفاته : توفي سنة (١٠٠٠هـ = ١٥٩٢م) وذلك بمكة ودُفن بها .

هذه كانت نُبذة مختصرة عن الإمام الأماسي رحمه الله حاولنا فيها إلقاء الضوء على جميع جوانب حياته .

من عرف من العلماء بالأماسي غير مؤلفنا :

وإنما ذكرنا هذا دفعًا للتوهم والاشتباه ، ولأجل ذلك ألَّف العلماء قديمًا الكتب في دفع التوهم الذي قد يقع في مشتبه أسماء العلماء ، ومن أحسنها : الإكمال لابن ماكولا ، ومشتبه النسبة للأزدي ، ولابن باطيش ، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين ... إلخ .

وكل هذه الكتب مطبوعة ، ومن الكتب الحديثة : ضبط الأعلام للعلامة أحمد تيمور باشا ، وإعجام الأعلام للأستاذ اللوذعي محمود مصطفى ، ولم أر كتابًا جامعًا في هذا الأمر وبخاصة في أسماء علماء الأتراك والوهم فيها كبير وكثير ، وانظر سبب ذلك في مقدمة الجوهر الأسنى للعلامة الخانجي [٣] .

ومن العلماء الذين عُرفوا بالأماسي غير مؤلفنا :

- أحمد بن يحيى بن عبد الواسع الأماسي الحنفي المتوفى سنة (١١٥١هـ = ١٧٣٨م) صاحب

---

(١) كشف الظنون (٢/١٨٣٢) .
(٢) معجم المؤلفين (٤/١٦٨) .
(٣) المختار من الجوهر الأسنى ص(٥٣) هدية مجلة الأزهر .

كتاب «معين الناصحين» [١].

- حسين الأماسي، المعروف بـ «قوجه حسام» صاحب شرح منار الأنوار المتوفى سنة (٩٦١هـ = ١٥٥٤م) [٢].

- خضر بن محمد الأماسي المتوفى سنة ١١٠٠هـ، ١٦٨٩م، صاحب غصون الأصول [٣].

- محمود بن حسام الدين الأماسي الحنفي المتوفى سنة (٩٣٩هـ = ١٥٣٣م) صاحب الضوء الشامخ في التصوف [٤].

وغيرهم من العلماء المنسوبين إلى أماسية الكثير.

---

(١) هدية العارفين (١٧٠/١).

(٢) معجم المؤلفين (٦٠٤/١).

(٣) إيضاح المكنون (١٠٨/١).

(٤) هدية العارفين (٤١٢/٢).